القدوة الحســـــنة وأثرها على الفرد والمجتـــمع

د. سميرة خليفة عبدالله كنيدل ــ كلية الآداب ــ جـامعة الزاوية -

الملخّــص :

نحنُ اليـــوم في أمس الحاجة إلى القدوة الصالحة في زمن ضاعت فيه الأخـــلاق واختلطت المقاييس ، وأعظم قدوة لنا الرســـول الأعظم الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم -

Abstract:

The role model must be good. The Muslims of the twenty-first century have a greater and better example on the face of the earth, which is our master and Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him. During the Great Battle of Badr, the number of Muslims was 313 and the number of infidels was 1000, and the battle ended with the crushing of the infidels. By example from Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, and in the Battle of Uhud, the number of Muslims was 700, and the number of infidels was 3000. The battle also ended with the crushing of the infidels, and again the leader from Muhammad, may God bless him and grant him peace. prophet Muhammad peace be upon him .

Not to mention the Battle of Tabuk, in which the number of Muslims was 30,000 and the number of infidels was hundreds of thousands. Who is the leader, O Muslims?, Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, and the battle ends with the crushing of the infidels.

This is the example and the good example that must be followed by the entire world. This is the example that the Muslims of the twenty-first century must follow.

This is our example for the establishment of the Hour of Muhammad, may God bless him and grant him peace.

المقدمـــــــــــة:

من أعظـــم الأمـــور التي ينتفع بها المسلم في الدنيا والآخـــرة ، والتي فيها يجد سعادته وترفع بها درجته أن يقتدي برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهو الأســـوة والقـــدوة والموعظة الحســـنة ، ونحن اليوم في أمس الحاجة إلـــى القُدوة الصَّالحة في زمـــن ضاعت فيه الأخلاق ، بســـبب الأهـــواء ، وأعظم قـــدوة لنا الرســـول الأعظم الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم -

أهميـــــــــة البحث :

ينطلق أهمية البحث من هدف عام مؤداه أن واقع البشر اليوم يشـــكو القصور والانحراف رغم انتشار العلم .

منهج البحث :

انتهجت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي نظراً لطبيعة البحث.

خطـــــــــــــة البحث :

قســـم البحث إلى الآتي : أولاً- تعريف القدوة الحسنة لغة واصطلاحاً ، ثانياً : أقسام القدوة الحسنة ، ثالثاً : مقومات القدوة الحسنة ، رابعاً أهمية القدوة الحسنة ، خامساً : نماذج القدوة الحسنة ، ثم الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذه الدراسة.

أولاً ـ تعريف القدوة الحســـــــنة :

تعريف القدوة في اللغـــــة : القُدوة والقدوة تقرأ بالضم والكســـر وهي تعنـــي: من يقتدي به الإنســـــان ويستن بسنته ، فيقال : فلان يُقتدى به ، والقدوة : المثال الذي يشتبه به غيره ، فيعمل مثل ما يعمل ، ويحذو حذوه في كل صغيرة وكبيرة ، والقدوة مثل الأســـــوة ، ويقال : تأسيت به إذا اقتديت به ، واتبعته في جميع أفعالي وأقوالي ، قال - تعالى - **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ)** [ســـورة الأنعام: 90] ، تعني : أولئك الذين قبلوا هدى الله فاقتد بطريقهم في التوحيد وتبليغ الرسالة وتطبيق الأحكام الشـــــرعية ، وقال- تعالى - : **(وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)** [الزخرف: 23] ، أي : سائرون على منوالهم ومنهجهم وطريقتهم في هذه الحياة[1] ، ويعني الاقتداء في كلام العرب بالرجل اتباع أثـــره والأخذ بهديه ، فيقال : "فلان يقدو فلاناً" إذا نحا نحوه وسار على دربه واتبع اثره[2].

فالأسوة القـــدوة ، ولها أربع معاني لغوية :

المعنـــــــى الأول : الفعل الأصل ، والأساس وعلى هذا المعنى : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأساس المتين والله يريد منا وجوب اتباعه .

المعنى الثانـــــــي : للقـــدوة الأسوة الحسنة يقال فلان إسوة يعني : قدوة وإماماً ، ومن هذا يجب أن يكون رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - قدوتنا وإمامنا ، ، أي : تكون أعمالنا تبعاً له ، وعلى هذا المعنى يفســـــر قول الله - تعالى - : **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)** [الأحـــزاب : 21] ، بأن رسول الله قدوتنا ، وأن النظر اليه يذهب حُـــزن القلوب [3] .

التقدم والســـــــــبق : فلان لا يضاهيه أحد ، وعلى هذا المعنى طلب الله من أن يكون رسول الله قدوتنا ، فالفضل والجمال والرأفة والرحمة لم يسبقه اليه أحد - صلى الله عليه وسلم - وإذا تبعناه فلن يسبقنا أحد ، ونكون أسبق الأمم كلها ، وينطبق قول

الرسول - صلى الله عليه وسلم - **" أنتم الآخـــــرون خلقاً ، السابقون الأولـــون حساباً للحساب يوم القيامة" .**

- الاعتدال وعـــدم الانحـــراف : يقال فلان يتغدى بفرسه مواضع الأثر في الطريق يلزم بفرسه سنن ، أي : أنه يسير مع فرسه باعتدال ، يريد الله - عزوجل – منا أن نقتدي باعتـــدال ، وهذا الاعتدال لا يتأتى إلا إذا كان قدوتنا رســـول الله - صلى الله عليه وسلم - [4] .

فالقدوة والأســـوة شـــيء واحد ، يعني : أن كل ما يتخذه الإنسان مثالاً حياً في سائر أفعاله وأقواله يعتبر قدوة وأســـوة في حياته.

القدوة اصطلاحاً : القدوة الصالحة هي مثال من لكمال النسبي المطلوب ، يثير في الوجدان الاعجاب فتتأثر به تأثراً عميقاً ، فتنجذب إليه بصورة تولّد في الإنسان القناعة التامة به ، والاخلاص الكامل له.

وهذا ينطبق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث كانت حياته مثار إعجاب الجميع مما جعلهم يتأثرون به .

فالمعنى الاصطلاحي للقدوة إذن : هي الحالة التي يكون عليها الإنسان متبعاً لغيره تماماً دواخله وخوارجه ، ويكون تفسير قول الله - عز وجل - للقدوة هي يجب الاتباع التام لنبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - قياماً وقعوداً ، قولاً وفعلاً ، عملاً وتعامل ، جلوساً وقوفاً ، تمام المطابقة ودوامها.

أنواع القـــدوة : إذا نظر المسلم في كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وفي أوضاع الناس وأحوالهم يتضح له أن القدوة تنقسم إلى قسمين :

1- **القدوة الحســـنة :** وهي التي تتخذ الاقتداء برسول الله منهجاً وسلوكاً وتتأسى به - صلى الله عليه وسلم - في تطبيقها العملي في واقع الحياة ، وهذا النوع إنما يسلكه ويوفّـــق اليه من كان يرجو الله واليـــوم الآخـــر ، ودخل الإيمان قلبه فعمل بالتنزيل ، وخشـــي من الجليل ، واستعد ليوم الرحيل ، رجاء الثواب الجزيل ، وخوف العقاب الشديد[3].

2- **القدوة السيئة :** وهي على عكس ذلك تماماً ، فهي لا تتأسى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تتشـــرف بحمل الاسلام ، بل إنها تعتز بانتسابها لغيره ، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم ، قال - تعالى - : **(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)** [الزخرف : 23] ، فقولهم هذا عين التقليد والمحاكاة.

ولقد عرف دعاة الشر والفساد ما للقدوة الصالحة من أثـــر محمود بين الناس ، لذلك أخـــذوا يصنعون أمثلة ونماذج بشـــرية على طريقهم ذات مفاهيم وعقائد باطلة وأعمال

ضالة ، وأحاطوها بالأصباغ والألوان الخداعة وسلطوا عليها الأضواء الإعلامية لإثارة الإعجاب بها في النفوس حتى تكون أسوتهم التي يقتدون بها، ومن هذه الأمثلة البشرية المصطنعة شخصيات ذات مذاهب هدامة وآراء باطلة ، أحاطها المفسدون بعبارات التمجيد والإكبار ليتخذها الناس أســـوة لهم يقتدون بها في آرائها وأفكارها ، وخير دليل على ذلك ما يسمى بنجوم الفـن والأناقة والغناء الماجن من رجال ونساء ، ليكونوا أســـوة للناس يقتدون بهم في تفاهتهم وسلوكهم المنحرف حتى أمست هذه الأمثلة هي القدوة التي تقلدها الأجيال[4].

أما القدوة الحسنة فهي - أيضاً - تنقسم إلى قسمين :

1- **القـــــدوة المطـــــلقة :** وهي تعني : الاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سائر أعماله وتصرفاته ، وذلك لأنه بعث ليقتدى به وليطاع بإذن الله لا ينطق عن الهوى وإنما يوحى إليه ، قال - تعالى - :(**وَمَا يَنْطِـــقُ عَنْ الْهَـــوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم : 3-4] ، والاقتداء به والسير على نهجه هو النجاة الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخـــرة ، فهو القدوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته لكي يستلهم الناس سلوكهم منه ، قال - تعالى - : (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**) [الأحزاب : 21] .

ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأســـوة الحسنة للناس جميعاً في جميع جوانب الحياة فإذا تفكّـر الإنسان في أحوال القادة والمصلحين والسياسيين ، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضرب بقيادته أروع الأمثلة ، وإذا بحث الناس في ميادين التربية وجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتربع على عروش المربين فإذا هو المربي الكريم والقائد والمعلم الذي ربى أصحابه الكرام على الفضيلة والقيم العليا النبيلة وصدق الشاعر :

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الصحراء أحياه[5]

ولقد اعتلى - صلى الله عليه وسلم - أعلى مراتب الأخـــلاق والعلم ؛ لأنه تربية رب العالمين ليكون الســـراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظمى للإنسانية جمعاء ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان قرآناً نابضاً حياً متحركاً ، وحينما سُئلت عائشة عن أخلاقه أجابت : **" كان خلقه القـــــــــرآن"** [6].

وكان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - يتناول كل شيء وكأنه متخصص فيه ، فإذا نظـــرت إلى عبادته وجدته رجل عبادة ، وإذا جاهـــد وحمل السلاح قلت :

إنه رجل حرب وجهاد تكفي قيادته للجنـــود الغازية في سبيل الله ، أنها تفـــوق عشرات القواد ، وفي حياته الزوجية مسؤوليات أســـرة كبيرة تشمل تسع نسوة يعدل بينهن ويعاملهن أكرم معاملة، وكان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - واعظاً ومرشداً أميناً يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، متحلياً بمحاسن الأخلاق وهي التي جعلت منه أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل ؛ بل كان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - مربياً وهادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام ، لهذا أمر الله المؤمنين باتباع الرسول وطاعته ، وجعل هذا من مؤشـــرات الحب في الله ، قال - تعالى - : **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)** [آل عمران : 31] (7)

2- **القدوة المقيـــــــــــدة :** نعني بالقدوة المقيدة ، أي : بما شرعه الله - عز وجل - لأنها غير معصومة ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله ، وتتمثل في الاقتداء بالصحابة والعلماء والاقتداء بالوالدين وبالمعلم في المدرسة والجامعة والسبب في ذلك أنهم ليسوا معصومين من الخطأ فهم بشر يصيبون ويخطئون، والمسلم يقتدى بهم عندما يصيبوا الحـــق ويجتنب الاقتداء عند مجانبتهم للصواب، حيث رغب الحق - تبارك وتعالى - أن يكون الإنسان قدوة في الخير وحـــذره من أن يكون قدوة في الشـــر ، قال رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - : **" مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ "** (8)، نأخذ من الحديث أن الوسطية التي هي إحدى مرتكزات العملية التربويـــة في الإســـلام ، وإن الدّين لا يلغي حسنات الآخرين لخطأ وقعوا فيه ، ولا يقـــرر أخطاء القدوة المخطئ وإن أصاب في بعض الجوانب ، وإنما يربي الشخصية الإسلامية على قبول الحـــق من أي وعاء صدر ، ورفض الخطأ من أي مصدر كان ، حيث جاء في الحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :" **الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَـــالَّةُ الْمُؤْمِـــنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَـــقُّ بِهَا "**(9).

أهمية القدوة ومصادرها :

أولاً ــ أهمية القـــــــــدوة الصالـــحة : لقد أعطى الإســلام جانب القدوة الحسنة اهتماماً كبيراً حيث لم يقف الأمـــر عند إنزال الكتاب على الرسل والحديث عن قصصهم وعرض سيرتهم ، بل أمر باتباعهم والاقتداء بهم ، فقال - تعالى - : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)** [الأنعام : 90] ، وأرسل الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - قـــدوة للناس يترجـــم الشريعة إلى واقع فيرى الناس في سلوكه وتصرفاته أوامـــر القرآن ونواهيه ، وهو بشـــر مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأســـواق ، ويتمثل هذه الأخلاق

ويعمل بهذه التوصيات ، سهّل عليهم الاقتداء والمتابعة له حتى أصبح يعتقد كل واحد أنه مخاطب بهذا القــرآن ومأمور باتباعه ، وتكمن أهمية القدوة الصالحة من خلال الآتـــي :

1- إن القدوة الصالحة تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تتهيج معها دوافع التنافس المحمود فيتولد لديهم حوافز قوية لأن يتمثلوا أخلاق وأفعال قدوتهم.

2- القدوة الصالحة المتحلية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأن بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة ، وأنها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته.

3- بالعلم بــرز قادة عالمون ومخلصون يصنعون من أنفسهم قدوات في مجتمعاتهم ، يترجمون ذلك العلم إلى واقع عملي يفهمه الجميع ، وهذا يُسهّل في إيصال المعاني الأخلاقية ويحدث التغيير المنشود إلى الأفضل.

4- إن غياب القدوة الصالحة من المجتمع عامل رئيس في انتشار المنكرات واستفحالها وفشو الجهل بين الناس ، ومن هنا تكمن أهمية القدوة الصالحة ، فكلما ازدادت القدوات انتشـــر العلم واختفت المنكرات ، لذلك فنحن نحتاج إلى قدوات يدعـــون الناس بأفعالهم لا بأقوالهم ، قال - تعالى - : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)** [الصف :2-3] .

5- لا ينكر أحد ما للمدرس القــدوة من الأثر الكبير في الرقي وإصلاح المجتمع الإنساني علمياً وخلقياً وأدبياً وصحياً واجتماعياً ؛ لأن أثــر المدرس الصالح يظهر على نفوس تلاميذه فيغرس فيهم الفضائل والأخلاق الحسنة وما يراه خيراً للأمة والوطن.

والقدوة الصالحة أعظم من المناهج الدراسية والقوانين الجامعية أو الأبنية الفخمة ؛ لأن للأستاذ الجامعي له أثر كبير على طلابه في علمه وأدبه وعمله ومهارته التدريسية وسائر أخلاقه وتصرفاته[10] ، ولم تصل التربية الحديثة إلى إبداع من اتخاذ القدوة الصالحة وسيلة إلى بناء الجيل الطــلابي ، فالمعلم القــدوة هو الذي يرتقي بالأمة إلى أسمى درجات الحضارة والمدنيـــة ، وبالمدرسين المخلصين تنهض الأمـــة من كبوتها وتنتصر على أعدائها.

وهنا أنوّه كباحثة إذا أردت أن ترى أثر المدرس فانظر إلى الأمم الراقية في مستواها الصحي ، والتعليمي، والسياسي ، والمعيشي تجدها أثراً من آثار المدرسين الصالحين والإسلام لا يعرض هــذه القدوة من أجل الإعجاب السالب والتأمل التجريدي ، وإنما يطلب منها أن تظل شاخصة ماثلة أمامنا تتدفق في حيوية وعمل يحقّق الخير للمجتمع [11].

ثانياً ــ مصـــادر القـدوة الصالحة : تكمن مصادر القدوة الصالحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف رضوان الله عليهم أجمعين ، وهي كالتالي :
القرآن الكريم : يعتمد القرآن الكريم أسلوب التربية بالقدوة حينما أمر الله - سبحانه - نبيه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فقال - تعالى - : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ)** [الأنعام : 90] .

أهمية القدوة الحسنة :

1- التربيـــــــة بالقدوة تعمل عملها في تكوين الإنسان الصالح الذي يظهر عليه ملامـــح التقوى والخشوع والحياء ، وهو المؤمن القوي الذي لا يدخل الوهـــن إلى قلبه ، الإنسان الذي يحب لأخيه كما يحب لنفسه الحب الخالص الذي لا ينتظر جزاءً ولا شكوراً ولا يهدف إلا لكسب الحب في الله- سبحانه وتعالى- [12].

2- الاقتداء بالقدوة الصالحة ينشئ التوازن والاعتدال في سلوك الأفراد ، لأن طاقته في ظل المنهج الرباني كلها تعمل وتأخذ نصيبها من الحياة بحيث يصبح قـــوة فاعلة في المجتمع ، فهو إيجابي واجتماعي حريص على مصلحة مجتمعه [13].

3- من آثار القدوة الصالحة أنها تبصرك بعيوبك وترشدك إلى الأسلوب الأمثل في التخلص منها .

4- إن القدوة الصالحة تعلم الإنسان وترشده إلى فعل الخيرات ، فتدلك على أمور واجبة كنت غافلاً عنها أو متكاسلاً عن أدائها وتشجعك على المشاركة في مشروعات الخير والبر والاحسان.

5- القدوة الصالحة سبب في دخول الإنسان ضمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وهي ضمان لاستمرار الصحبة ، قال- تعالى- : **(الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَيَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)**[الزخرف : 67-68]

أمثلة للانعكاسات التربوية على الأفـــــراد :

المثال الأول : هذا المثل الرفيع يبين أثـــر القدوة الحسنة في النفوس فأصبحت دعامة قويـــة في تربية الفرد المسلم على مبادئ الإسلام ، فهذا سعد بن الربيع أحد هؤلاء المقتدين والمحبين لرسول الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **يَوْمَ أُحُدٍ لِطَلَبِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَقَالَ لِي: " إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ " قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِـــرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْـــحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: " خَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟"**

قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ قُلْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لَا عُــذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ، قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ " (14).

المثال الثانـــــي : ولنا الأسوة في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميعاً ومنهم عمرو بن الجموح الأعـــرج الشديد العرج له أربعة بنون شباب اشتركـــوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد ، ويأبى هو إلا أن يشارك ، فيقول له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد ، فيذهب عمرو إلى رسول الله يشكو إليه أمر أبنائه ويقول : إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي الجنة، فيقول له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة ، فخرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقتل يوم أحد شهيداً (15).

المثال الثالث : وهذه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب يأتي والدها إلى المدينة وهو على الكفر ويدخل عليها في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم وجاء أن أبا سفيان قدم المدينة قبلَ إسلامِه، فدخل على أمِّ حَبِيبة ، وأراد أن يجلس على فراش رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنعَتْه من ذلك، فقال: يا بنية أَرَغِبْتِ بهذا الفراش عني، أم رَغِبْتِ بي عنه؟ قالت: بل هو فراشُ رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وأنت امرؤٌ نجس مشرك (16).

إن هذا الحب الذي استولى على قلوب الصحابة - رضوان الله عليهم - دفعهم إلى البذل والعطاء حينما رأوا من رســـولهم خير قدوة للناس.

الآثار التربوية للقدوة الصالحة على المجتمع :

إذا كانت التربيـــة بالقدوة لها الدور الكبير في إعداد الفـــرد الصالح فإن ذلك يؤدّي إلى النجاح في تكوين المجتمع الصالح ، لأن الفرد نواة الأســـرة ، والأسرة هي نواة المجتمع ، ومن ثم فإن القدوة الحسنة لا يعيش مشغولاً بذاته بل يمد يديه بالخير والعون ويعطي الى المجتمع ما يزيده أمناً وسلاماً ، لأنه يعرف معنى الإنسانية ويدرك مسئوليات الأخوة في المجتمع ، قال- تعالى - :**(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** [المائدة : 2] .

نمـــاذج من القـــــدوة الحســـــــنة : لقد أقرت السنة النبوية مبدأ القدوة الصالحة في التربية من خلال الدعوة الى الاقتداء بكل من دعا الناس إلى الخير والصلاح والهدى

الذي جاء به النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر الآتي :

أوصـــــى النبي - صلى الله عليه وسلم - باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، حيث جاء عن أبي نجيح العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - **ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"** [17]، وما رواه البخاري دليل واضـــح على طاعته - صلى الله عليه وسلم - والاقتداء به ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ:" مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"** [18] ، وقـــرّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من اقتدى بها يوم القيامة ، عن أبي عمرو جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"** [19]، وأوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاقتداء بأبي بكر وعمر بن الخطاب بنص صريح فقال : **"اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ"** [20]، كما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاقتداء في الصلاة فقـــال : " **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"** [21]، وأمر المؤمنين بالاقتداء به في تأدية مناسك الحج فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: " **خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ"** [22].

ومن أقوال أهل السلف : ذكر عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - محامد الصحابة - رضي الله عنه - وفضائلهم ووجوب الاقتداء بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم النبيلة فقال : "من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فاتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"، وذكر الشاطبي في الاعتصام عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انه قال : " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: " **اتَّبِعُوا آثَارَنَا , وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ** " [23].

الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ، وهم أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد انبيائه ورسله ، وهذا مذهب أهل السنة فلا يجوز لأحد أن يبغض أحداً منهم حيث جاء عن الإمام مالك رضب الله عنه أنه قال : من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم قـــرأ : (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**) "الحشر:10" [24] ، لا شك أن القدوة والمعلمين والدعاة بجهودهم تنهض الأمة ، فهم يمثلون الطبقة المثقفة فيها ، ويقومون بكل عمل من شأنه أن يقوي من وحدة الأمة ويساعد في تحقيق الرفعة والتقدم والازدهار في حياة المجتمع بأسره ، وبهم تنهض الشعوب وتنتصر على أعدائها وتسمو إلى أعلى درجات المدنية والحضارة .

ومن نماذج القدوة الحسنة ســـوف نحصر الآثار التربوية للقدوة الصالحة على الفرد والمجتمع وهي تتمثل في الآتـــــي :

1- إن القدوة الصالحة يجعل المسلم على اتصال دائم بالخالق - عز وجل - ، لأنه يذكره بالطاعة والاخلاص في النية والعمل ، وإذا تمكّن الاخلاص من القلب أصبح الإنسان يبتغي مرضاة الله ورضوانه في كل عمل يقوم به ، ويجعل الله رقيباً عليه في حركاته وسكناته ، قال – تعالى - : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)** [ق : 16] .

2- القدوة الصالحة تُـــربي الشخصية المسلمة القوية ذات الشكيمة والإرادة الحديدية على العزة والكرامة ورفض الظلم والاحتلال

3- تنمي القدوة الحسنة الفضائل والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد ويتضح ذلك من خلال حديثنا عن صفات القدوة الحسنة حيث وجدناها تتصف بصفات أخلاقية وقيم عليا إذا تحققت في الفرد المسلم أصبح في قمة ينظر من خلالها نظرة إنسانية إلى جميع القضايا التي تواجه الناس جميعاً.

الخاتمـــــــــة :

ما أحوجنا اليوم إلى هذه القدوات التي تـــبرز في ميادين الحياة ، القدوة التي تدعو إلى صفاء المعتقدات الإيمانية ، والقدوة التي تدعو إلى أداء الشعائر التعبدية ، وتكون هي أحرص الناس على أدائها.

إن للقـــدوة الحسنة أثاراً حميدة وطيبة على الفرد المسلم في حياته يدركها ويلمسها في ذاته عندما يقتدي بصاحب صالح فيتأثر به ، ويظهر ذلك في سلوكه وفكره ومنهجه

، وهي سبب في مصير الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية ، فإنَّ الإنسان يتأثر بقدوته ويصطبغ بصبغته فكراً ومعتقداً وسلوكاً.

الهوامـــــــــــش :

1. تفسير القرطبي ، مجلد 7، جزء 14 ، ص 102 ، تفسير مفردات القرآن الكريم ، ص77.
2. لسان العرب ، مجلد 1 ، ص 64 ، والجواهري في الصحاح ، مجلد 6 ، ص 245.
3. عفيف عبد الفتاح طياره ، روح الدين الاسلامي ، دار العلم ، للملايين ، بيروت ، ط24 ، 1984، ص ص 209-210 .
4. عفيف عبد الفتاح طياره ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 209-210 .
5. تفسير السعدي ، 153/4.
6. غزو في الصميم ، 152-153.
7. التربية الوقائية في الاسلام ، خليل الحدري ، ص207.
8. أخرجه مسلم، 513/1.
9. رواه الترمذي في سننه ، باب : ما جاء في فضل النفقة على العبادة ، رقم الحديث : 2687 ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. وينظر : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ، الجزء الاول ، ص182.
10. مسلم ، 1691/3.
11. سنن الترمذي ، 314/4 ، حديث رقم : 2696.
12. التربية الاسلامية وفلاسفتها ، محمد الابراشي ، ص294.
13. أصول التربية ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص231.
14. رواه الحاكم في المستدرك ، رقم الحديث : 4906 ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»[التعليق - من تلخيص الذهبي] 4906 - صحيح ، وينظر : منهج التربية الاسلاميـــــة ، محمد قطب ، 228/1.
15. النظرية التربوية الاسلامية ، آمال الزروقـــــي ، ص108.
16. زاد المعاد ، ابن القيم ، 96/2.
17. السيرة ، ابن هشام ، 265/1.
18. رجال ونساء حول الرسول ، هاني الحاج ، ص401-402.
19. الترمذي ، 44/5 ، وابن ماجه ، 126/4-127.
20. صحيح البخاري ، 1825/4 ، حديث رقم 7280.
21. مسلم ، 169/3.
22. سنن الترمذي ، 502/3 ، حديث رقم 3662.
23. ابن ماجة ، 905/2.
24. مسلم ، 65/1.
25. الاعتصام الداخلي ، 79/1.
26. تفسير القرطبي ، مجلد 9 ، جزء 22/11.